الاجتماعية والحرية السياسية والوحدة الإنسانية .إن الاستلهام الخصب للتراث يشكل بعض أسرار جودة الصياغة الفنية في معظم الشعر المعاصر "[1].

ويتضح من رؤية د طه وادى حرصه على عاملين مهمين في اكتمال دائرة التوظيف وهما : الاختيار والانتخاب ، ثم الخروج من أسر الإقليمية إلى العالمية ، حتى يؤتى التوظيف ثماره ، فالاختيار سيطرح مجالاً فعالاً أمام الشاعر ويثرى عالمه وأدواته ، والخروج من الإقليمية يجعل الشاعر المعاصر شاعراً إنسانياً في المقام الأول ، يقف مع غيره من شعراء العالم بوصفه جزءاً منه .فيصبح التواصل مستمراً وخلاقاً .

الفصل الثاني

الشخصية وفضاء الرؤية

1- د. طه وادى : جماليات القصيدة المعاصرة ص٧١.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الشخصية بين المرجع والدلالة :

تعد الشخصيات من أهم العناصر التراثية ، وأكثرها طواعية واستجابة للتعبير عن قضايا الإنسان المعاصر حيث لجأ إليها الشاعر المعاصر كي يعري – من خلالها– آلامه وهمومه الذاتية والجمعية ، مفجراً قدراتها والدلالية ، متصلاً بها ، ومنفصلاً عنها في آن واحد ، محاولاً استبطان مكنونها ، واستغلال قدراتها على التوصيل في أعمق حالاتها ووجودها الحي .

ويزخر التراث الإنساني بالشخصيات الفاعلة والموحية ، التي استحوذت على الوعي الجمعي ، فأصبحت ذات رصيد دلالي في ذهن المتلقي ، بجوانبها المتعددة وملامحها المتغيرة ؛ فهناك شخصيات جسدت نوعاً من التمرد على القيم السائدة ، وهناك شخصيات ذات وجه مضيء ، مشرق ، منتصر ، وهناك شخصيات منسحقة تحت وطأة الظلم والاستعباد ، ومنها – أيضا – الشخصيات التي ضربت المثل الرائع في مواقفها الفكرية والإنسانية .

وقد وجد الشاعر المعاصر ضالته النفسية والفكرية والفنية في الشخصية التراثية، فأصبحت تمثل لديه أداة تعبيرية حية ، استطاع أن يعبر من خلالها عن تجربته ، أو عن بعض جوانبها .

والشخصيات التراثية – في إطارها العام – واقعة في حيز الزمن / التاريخ ، فكل شخصية تراثية هي شخصية تاريخية حسب وجودها ، فمثلا شخصية كشخصية المتنبي تعد تاريخية وأدبية في الوقت نفسه ، لأنها وجدت في زمن بعينه ، ومارست الشعر الذي ميزها بملمح خاص ، جعلها تنتمي إلى المصدر الأدبي ، وشخصية الحلاج تنتمي إلى المصدر التاريخي ، ولها منزع صوفي عرفت به بلورها وجعلها شخصية

صوفية ، فإذن هناك تداخل وتشابك بين مصادر الشخصيات التراثية ، يجعل البحث– تجاوزا- يقسم الشخصيات حسب مصادرها والملمح الذي ميزها وعرفت به ، حتى يقف على دلالتها ، التي تكشف رغبة الشاعر المعاصر في الاستدعاء ، ومدى اختلاف نظرة كل شاعر للشخصيات المستدعاة ؛ فقسمها البحث – من خلال مصادرها التراثية – على النحو الأتي : [1].

الشخصية الدينية :

تلقى الشخصيات الدينية قبولاً واهتماماً من قبل الشاعر المعاصر والمتلقي ، حيث تستأثر هذه الشخصيات بمساحة واسعة في مخزون الوعي الجمعي ، لما لها من تأثير روحي وقدسية .

وقد وجد الشعراء المعاصرون في الشخصيات الدينية مناخاً للتعبير عن قضاياهم وتجاربهم ، فانتشرت الشخصيات الدينية على خريطة الشعر العربى في مصر ، خصوصاً شخصيات الأنبياء والرسل:

من هذه الشخصيات الدينية التى استلهمها الشعراء – وأخذت حيزاً في قصائدهم شخصية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام – ليعبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم المعاصرة .ففى قصيدة " حركة قد تكون الأخيرة في سيمفونية العمر " يتخذ الشاعر محمد مهران السيد شخصية الرسول رمزاً للخلاص ، في ظل انسحاق الإنسان العربي المعاصر على أيدي السلطات المتهرئة المخادعة ، فمحمد هو المخلص والمنقذ:

1- أفادت الدراسة في هذا التقسيم من منهج د.على عشرى زايد في دراسته للشخصية التراثية .

" يا منقذ رأس البشرية من حبل جهالتها ..إني خائف

لا شيء ، يقدس بعد حفيدك مطروحا ، ونسائك – في السبي..

زواحف

من تلك اللحظة ؛ لا شيء يذكينا أو يخجل من سقطتنا

من هذا التاريخ الزائف

.. يا جد حسين ، إن حسينا ما زال بعيداً عن مجرى – الماء ،

ولا يطلب من تجار العرب الصفح !؟

ما زالت زينب ، هذى الجوهرة الربانية ..تدعو من – أعماق

الجرح

أن تبقى رايات جهادك فوق رؤوس مساكين الأرض ، ولو سقطوا

صنفا بعد الآخر ..قربانا للثورة " [1].

يضع الشاعر في هذا الجزء من النص زمنين متقابلين : الماضي العربي الزاهر /الخلاص والحاضر العربي/ المنطفئ / السقوط ، ويعلق الخلاص / الانتظار في شخصية الرسول ، رمز الإنسان العربي في جهاده ومجده وانتظاره ، رغبة في الخروج / الثورة ، لخلق واقع مغاير يتصف بالعزة والشموخ العربيين ، بدلاً من سكنى التاريخ الزائف ، واللجوء إلى الأجنبي المستبد ، ليكون الخلاص : (أن يسعى نسلك للبيت المكي – لا للبيت الأمريكي) ، ثم يتثبت الشاعر بدعوة الخروج / الجهاد، بوصفها المخلص مهما كان الثمن :(ولو سقطوا صنفا بعد الآخر – قربانا للثورة)، ثم يؤكد الشاعر – في نهاية النص – الانتظار والخلاص:

1- محمد مهران السيد : طائر الشمس (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة – أصوات أدبية أكتوبر ١٩٩١). ص١٠٧-١٠٨.

obeikandl.com

(حتما ستعود إلى هذا الربع الخالي ..أنفاس الهجرة) [1].

لقد بقيت شخصية محمد(صلى الله عليه وسلم) محاطة بالحذر عند استدعاء الشعراء إياها ، فمعظم الشعراء المعاصرين كانوا يستخدمونها بدلالات محددة تجنح إلى الدلالة العامة .للشخصية ، وقليل منهم من خرج بالشخصية إلى دلالة خاصة .ومما جعل شخصية الرسول تأخذ الدلالة العامة عند استخدام الشعراء لها النظرة التي تنبثق من خلال علاقة الدين بالإبداع ، وعدم القدرة على الفصل بينهما ، فالرسل شخصيات مقدسة في الوعي الجمعي الإسلامي ، لا ينبغي كسر جوانبها المقدسة ، والرسول عليه السلام يحظى بأكبر قدر من القداسة في نفوس الأمة .

ويشير د. على عشري زايد إلى الجانب المتعلق باستخدام شخصية الرسول وتوظيفها فيقول : " كان شاعرنا المعاصر يتحرج من أن يعبر بشخصية الرسول عن ذاته ، وأن يتخذها قناعا يوحى من خلاله بأفكاره الخاصة ، تأثما من أن ينتحل لنفسه شخصية الرسول أو أن ينسب إليه بعض صفاتها ، ولذلك فقد كانت القصائد التى حملت فيها شخصية الرسول دلالات عامة أكثر بكثير من تلك التى حملت فيها خاصة بشاعر معين "[2].

أما شخصية المسيح – عليه السلام – فقد كانت أكثر اتساعاً وتحرراً عند تعامل الشعراء معها واستدعائهم إياها ، حيث استخدمها كثيرٌ منهم في قصائدهم ، لتكون بعداً من أبعاد تجاربهم المعاصرة ، متخذين منها أداة رمزية ، تحمل دلالة خاصة ، لاسيما أنهم خرجوا على هالة القداسة التي تحيط جسد الشخصية ، وسقطوا عليها في أعمق حالاتها فتنوعت الدلالة .

1- السابق نفسه.

2- د. على عشرى زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربى المعاصر ، ص١٠٤.

obeikandl.com

ويعد ملمح الصلب في شخصية المسيح من أكثر جوانب الشخصية إيحاء ، حيث وجد في نفوس الشعراء هوى ، لأنه يناسب عالم المكابدة والمعاناة ، الذي يحياه الإنسان المعاصر والشاعر المعاصر " كل صاحب فكرة نبيلة يتعذب من أجلها مسيح"[١].

ويستخدم نجيب سرور في قصيدته (لزوم ما يلزم) ملمح الصلب رمزاً للعذاب ، والألم ، والهوان من أجل إدانة واقعه المعيش ، وفضح سطوته :

"يا سيداتي .. يا أميراتي الحسان !

ورأيت قديسين في عرض الطريق ،

لا في الصوامع والكنائس ..

والأديرة !

كانوا عرايا ..لا ثياب ولا مسوح

ولا عمائم

كانوا جياعاً كاليتامى في الولائم

كانوا عطاشاً ..كالمسيح

لا شيء غير الخل ممزوجا بمر ..

أعطوه ..وهو على الصليب " [٢].

وتأتى شخصية موسى عليه السلام في منزلة أقل – من حيث استدعاء الشعراء لها – إذا قورنت بشخصيتي محمد وعيسى ، فهما متعددتا الجوانب الدلالية – خاصة شخصية عيسى – التي تتناسب مع أبعاد تجربة الشاعر المعاصر ، ولكن شخصية

1- السابق نفسه .

2- نجيب سرور : لزوم ما يلزم ، ص٢٤.

obeikandl.com

موسى كانت أقرب إلى الدلالة العامة .فالشاعر أحمد سويلم في قصيدته (أحزان موسى في العالم الآخر) قد استخدم شخصية موسى رمزاً للعطاء والفعل في مقابل الإنكار :

" حدقوا في ردائي ..في خطوتي ..في عصاي

حدقوا في كتاب التعاليم ..

حين أتيت إليكم – أعيد السلامة استقدم الحب ..استقدم

الوجه من ليله السرمدي..

- لم أجيء من زمان غريب !

ها أنا يتقاذفني اليم طفلاً ..أغارت على السماء حريقاً ..تمرغ وجهي في الرمل حينا

.. ترفق بى الموت حيناً ..

أحمل الآن شارة زهوي ..وشارة موتى ..سعيت إليكم وليس معي غير (تلك عصاي)

عليها توكأت ..تلك عصاي " أهش على غنمي "

تلك إسفاري الحب ..تلك الوصايا

ما لكم تنكرون " [1].

استدعى الشاعر شخصية موسى واتحد بها ؛ ليكتب حزنه وآلامه ، فأحزان موسى فبالعالم الآخر هي أحزان موسى / الشاعر في العالم الأول/ الواقع . لقد تنكر اليهود من قبل لموسى ، كما يتنكر الواقع المعيش الآن لموسى / الشاعر ، فلقي في سبيل دعوته ورسالته ما لقي من مشقة وعنت وقسوة .إن رغبة الشاعر في الخلاص ترفع صوته ليصنع واقعاً يهيمن عليه السلام والحب ، فلماذا التنكر الذي يغطى صدر الشاعر

1- أحمد سويلم : الخروج إلى النهر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠)ص٣٣-٣٤.

obeikandl.com

بالإحباط والإنكار ؟ .إنه لم يجيء من زمان غريب ! ، ولو تأمل القارئ علامة التعجب – بوصفها أداة تعبيرية – في نهاية السطر (لم أجيء من زمان غريب!) لوجدها تكشف عن الدهشة والحيرة اللتين تتملكان موسى/ الشاعر .

ومن الشخصيات الدينية التي حظيت باهتمام كثير من الشعراء ، وأخذت دلالات متنوعة ، وفقاً لثراء الشخصية ، وتعدد جوانبها الإيحائية : شخصية يوسف عليه السلام حيث استخدمها الشعراء رمزاً للإيمان بالمبدأ – مهما كانت الصعاب –والاعتصام والعرفان والانتماء .وشخصية نوح عليه السلام التي ارتبطت عند معظم الشعراء بالخلاص والانتظار ، فهو المخلص / الثورة ، الذي يحطم زيف الواقع المعيش .

وهناك شخصيات أخرى لأنبياء ورسل قد استخدمها الشعراء ولكن بصورة ضئيلة إذا قورنت بما سبق ذكره ، منها شخصية يونس الذي ارتبط اسمه بدلالة المكابدة والتحمل ، وشخصية أيوب رمز التحمل والصبر على المصيبة والبلاء .

وبعيدا عن شخصيات الأنبياء والرسل هناك شخصيات دينية مقدسة ، انتشر استدعاؤها في الشعر المعاصر ؛ منها شخصية " مريم ابنة عمران" التى تحتل مساحة كبيرة من القدسية في ضمير الوعي الجمعي .

وهناك شخصيات دينية ارتبطت في ضمير الوعي الجمعي بالشر والبغي والسقوط ، والبطش والخيانة ، مثل : قابيل ، وأبرهة ، وأبى لهب ويهوذا تلميذ المسيح

الشخصية الصوفية :

الشاعر مثل الصوفي ، يحاول جاهداً إكمال نقص العالم ، وفى ضوء هذه المحاولة تنشأ صلة بين الصوفي والشاعر ، تتبلور في سعى كل منهما إلى تصور عالم أكثر إشراقاً ، وأكثر كمالا من عالم الواقع المعيش ولهذا كانت " التجربة الصوفية

والتجربة الفنية لا ينتميان لنسقين مختلفين تماما ففي كليهما ينخرط الوعي الذاتي الذي لا يفتأ آخذا في التمدد والنمو والاتساع ، وفيهما نبذ للمألوف والمعتاد ، وانتشال النفس من الانغماس في الابتذال ، وتركيز الوعي وحفظه من أن ينزلق في الفراغ والبطالة"[1].

وإذا كانت التجربة الصوفية – عند صلاح عبد الصبور – والتجربة الفنية "تنبعان من منبع واحد ، وتلتقيان عند الغاية نفسها .وهى العودة بالكون إلى صفائه وتآلفه بعد أن يخوض غمار التجربة " [2].فإن الدكتور عز الدين إسماعيل يشير إلى احتفاظ كل من الصوفي والشاعر بملامحه الخاصة التي تحفظ عالمه الخاص ، وتفرقه عن الآخر فيقول :" إن الصوف والشاعر كلاهما متأمل ، وكلاهما مستكشف .وربما استطاع الصوفي أن يعبر عن رؤيته أحيانا ، ولكن في مراحلها الأولى ، ولكنه عندما يوغل في " الطريق" يستعصى عليه أن يعبر عن رؤيته . وفرق آخر هو أن موضوع الرؤية يظل واضحاً أمام الشاعر في كل لحظة ، في حين يختفي في التجربة الصوفية"[3].

لقد وقع الشاعر المعاصر تحت بطش الواقع وقسوته ، فأصبح مكبلاً بالهموم والآلام ، يواجه كل يوم ريحاً عاتية ، تصطدم بكيانه النفسي ، فيحس معها بالاغتراب ، ويكشف عن هذا برمزية صوفية ، تتكئ على الرحلة ، والسفر ، والقلق وتفيض تجربته بالحزن والانكسار "ولا ريب أن ما يخالج المتصوف من عزوف عن الواقع اليومي وانفصام عن موكب الحياة من حوله شبيه بما تحسه الذات الشاعرة من

1- د. عاطف جوده نصر : تراث الأدب الصوفى ، فصول ، اكتوبر ١٩٨٠، ص١٠٧.
2- د. صلاح عبد الصبور : حياتى في الشعر .الأعمال الكاملة (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٩٣) ص١٦٧.
3- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربى المعاصر ، ص١٧١.

تبرم بنفسها وبالوجود ، وهذا الشبه هو ما يجعل النماذج الصافية أكثر طواعية في يد من يريد استغلال ما فيها من قيم رمزية " [1].

وقد فرض الواقع المعيش على الشاعر مناخ التصوف ، فانتشرت ملامحه في تجارب كثير من الشعراء ، إنهم يعيشون حالات انسحاق وانكسار ، فكان حرياً بالشاعر أن يتوق إلى التطهير والخروج إلى الحياة من رحم الصفاء ، إنه يذوب كما يذوب الصوفي شوقاً للوصول ، والسفر في آفاق المجهول ، والشعر هو " اللهفة التي لا تهدأ إلى ما لم نعرفه أو نسيطر عليه بعد ، إنه الطريق التي تقودنا دون توقف صوب المستقبل – صوب المجهول[2] " .

الشاعر – دائما – يحس بعبثية الحياة ، ويعانى فقدان التوازن ، وضياع كينونته وسط غمار الموت و" هذا البعد الصوفي في بعض التجارب الشعرية سيظل في كل العصور تعبيرا عن توق الإنسان إلى التوازن والغبطة والتحرر من كل ما يحول دون أن يلهب في حقيقته .وتزداد حاجة الشعراء إلى هذا البعد كلما جثم عليه ما في المدنية والطموح الزائف من غرور وشقاء " [3].

إن هذه الشخصيات الصوفية تحركت في إطار قضايا مماثلة لقضايا الشاعر المعاصر ، فالصوفي مسكون بالتوجس والخوف والحيرة ، مغترب في عالمه – العام والخاص – وقد يفضى به مناخ الحيرة والقلق والإحساس بالغربة إلى الصراع وفقدان اليقين فمكابدة المتصوف انعطاف روحي في سبيل الوصول .والانعطاف شوق للطريق، وهموم الشاعر المعاصر تلتقي مع هموم الصوفي وقضاياه ، فتتحرك تجربته في إطار الرحلة والسفر وشوق الوصول والاغتراب ، والمجاهدة ، والمكابدة،

1- د. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (القاهرة : دار المعارف ١٩٧٨) ط٢، ص٣٢٢.
2- أدونيس : زمن الشعر ، ص٣١٤.
3- د. عاطف جودة : تراث الأدب الصوفى ، ص١١٩.

والخوف والقلق والحزن " الذي ينبثق كالينابيع الصافية التي يؤذن هدوء سطحها بأعماق بعيدة "[1]، " ففي المكابدة الشعرية نوع من التصوف يشبه مجاهدة العابد في أداء فرضه الديني "[2].

ويعد " الحلاج" أكثر الشخصيات الصوفية المستدعاة انتشاراً ، لما تشتمل عليه هذه الشخصية من عناصر إيحائية متعددة ، تتشابه مع قضايا الشاعر المعاصر ، وهو أكثر الشخصيات الصوفية التي نالت اهتمام المستشرقين والباحثين ، فقد كتب عنه ماسنيون كثيراً ، ومن أهم ما كتبه بحثه المسمى " المنحنى الشخصي لحياة "الحلاج". شهيد الصوفية في الإسلام " ، وكتب عنه " نيكلسون " كتابه" الصوفية في الإسلام "، وقد ترجمت أعمال الحلاج إلى اللغات الأجنبية وفى مقدمتها الفرنسية .ونتيجة للاهتمام بالحلاج[3] وعالمه انحاز إليه كثير من الشعراء المعاصرين .

فالشاعر السماح عبد الله في قصيدته " الحلاج" يستغل الحالة الصوفية حالة الانجذاب الصوفي أو حالة الانعطاف ، التي تفضي إلى التوحد والامتزاج ، ولم يكن التوحد – عند الصوفية – هو انتقال الذاتين – بعد انصهارهما – إلى ذات واحدة فقط ، وإنما التوحد هو التداخل في الصفات كما يقول ابن عربي[4].ويأتي انخطاف الشاعر السماح نتيجة لارتقاء الروح وغيضانها ، وانجذابها لحضور المحبوب ، الذي تجلى ، فأوعز فاستجاب المحب / الشاعر :

" وخطفني الخطاف ..

1- السابق نفسه .
2- د. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية ، ص٢٨٥.
3- والحلاج هو "الحسين بن منصور الحلاج " أحد شيوخ الصوفية في القرن الثالث الهجرى ، تتلمذ على يد عمرو المكى أحد أقطاب الصوفية وكبارها في تلك الحقبة وتلقى عنه الخرقة ..، كان على علاقة بالجنيد والشبلى وسهل التسترى ، وكانت للحلاج آراء خاصة في الدين والسياسة ، واختلف مع كثيرين من أهل طريقته ، فنبذ الخرقة ، وجمع الناس من حوله ، خاصة الفقراء وحضهم على الثورة ، فصلب وقتل ببغداد بباب الطاق سنة ٣٠٩هـ والقى برماد جسده – بعد احراقه – في نهر دجلة (ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ١١٩/١).
4- انظر : سعاد الحكيم : المعجم الصوفى (القاهرة : دندره للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١)ص٣٢٠.

أنا كنت أعاتبه في شيء ضايقني منه ، وهو..

انتهز الفرصة بين عتابي وتسلل لى ..

وخطفني قبل استكمالي لكلامي ..

صرت أنا المخطوف المأخوذ ..

خطفني منى ...وسكنني..

شوقني لروائحه ، وأنا في حضرته ..

أسقاني الحب ، وزود عطشى

ملأ يدي بأعطاف خوالجه وما مسكني منه"

مسكون بالمحبوب ولكنى صرت أنادمه

لَكَأَنْ مبتعدٌ عنه أنا ..أو لَكَانْ هو غياب

وغافلني المحبوب..

ولم أك أبغى أن أبكى ، أو أضحك ، أو أستغفر ..

ضللني فيه ، تخلل أطيافي ..

يشابهني في أوصافي ..

أو شبهني بحلاوته حتى بعدني عنى أو قربني ..

منى ...انتهز الفرصة بين عتابي ..

وتسلل لي ...قبل استكمالي لكلامي ..

سموني ..ياناس المخطوف" [1].

لقد عاش "الحلاج" حياة قلقة ، يؤمن بالمبدأ ، يجذب الفقراء ، ويعذبه الخلاص، حتى سبب قلقاً للسلطة الحاكمة آنذاك ، حتى ألصقت به تهمة الكفر وقتلته ؛ فأصبح

1- السماح عبد الله : الطليعة الأدبية (العراقية) العدد١١، ١٢، كانون الأول ١٩٨٩، ص٥٨-٥٩.

obeikandi.com

الحلاج نموذجاً لمن يصبو إلى الإنسانية ، ويشير صلاح عبد الصبور إلى الحلاج بقوله: " كان عذاب الحلاج طرحا لعذاب المفكرين في معظم المجتمعات الحديثة ، وحيرتهم بين السيف والكلمة بعد أن يرفضوا أن يكون خلاصهم الشخصي بإطراح مشكلات الكون والإنسان على كواهلهم هو غايتهم ، وبعد أن يؤثروا أن يحملوا عبء الإنسانية عن كواهلهم "[1].

ومن الشخصيات الصوفية التي حظيت باهتمام كثير من الشعراء المعاصرين شخصية محمد بن عبد الجبار النفري صاحب كتاب " المواقف والمخاطبات " ، الذي شكل كثيراً من تجارب الشعراء ، وأثر في لغتهم الفنية وتراكيبهم .

وقد حظى النفري بما حظي به الحلاج ، فاستخدمه كثير من الشعراء للتعبير عن قضاياهم الفكرية والفنية .فالشاعر محمد الشهاوي يستخدم النفري – في قصيدته " النفري ما زال يقول"– رمز المخلص / الانتصار لقيم الإنسانية في مواجهة الزيف، إنه المثقف / شاهد العصر :

فهيا اطلعي للعيون
وخطى على واجهات البيوت لأصحابها
سيرا وتراجم (يا شمس يا قلم الحق)
كي يعرف الطيبون من الخبثاء ..
ولا تكتمي خبرا إنهم – من قبل –
كانوا من الظاهرين
وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون
على الشهوات

1- صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ص١٦٧-١٦٨.

وها جاء أمر السماء

وزلزلت الأرض زلزالها

وأخرجت الأرض أثقالها

وقال الذين بغوا :

مالها ؟!!

فالمدى ثورة ؛

والجموع تلوح ؛

(النفرى) يرد في ساحة النصر

أحلى المواقف " [1].

أما السهروردى المقتول فيكشف عن مواقف الشعراء وآرائهم ، خصوصاً في علاقة المثقف / الشاعر بالسلطة ، فالشاعر نصار عبد الله يستخدمه رمزا للشاعر الذي يلتزم بمبدئه ، وموقفه الذي يفضى به إلى الموت ، لكنه يعرى الواقع المتردي وزيفه ، فهو أكثر الناس وعياً بواقعه ، وإدراكاً للمأساة .

" أنا شهاب الدين

ولدت مثنى وثلاث ورباع

كبرت في جميع هذه البقاع

ولدت – حتى قبل أن أولد – في الأهواز

وحين بحت للذين كذبوا

بأنني أتأنى اليقين

وأنني رأيت في الفؤاد رب العالمين

1- محمد محمد الشهاوى : مسافر في الطوفان ، ص٣٥.

obeikandl.com

أنا شهاب الدين حين بحت باليقين

قتلت ما قتل غيري في حطين " [1].

وهى الشخصيات التي صنعت تجربة إنسانية في الماضي واستطاعت أن تحتفظ لنفسها بالديمومة والاستمرار من جيل إلى آخر في سجل التاريخ وهناك كثير من الشخصيات الصوفية التي استخدمها الشعراء المعاصرون في قصائدهم كابن الفارض المسمى ب"سلطان العاشقين" ، وفريد الدين العطار ، والغزالي ، ورابعة العدوية ، وبشر الحافي ، وابن عربي ، لم يتسع المجال لتناولها جميعا ، فاكتفى البحث بالإشارة.

الشخصية التاريخية :

وهى الشخصيات التي صنعت تجربة إنسانية في الماضي ، واستطاعت أن تحتفظ لنفسها بالديمومة والاستمرار من جيل إلى آخر في سجل التاريخ .

وتجربة ماضي الإنسانية لم تكن قالباً جامداً ، أو جثة هامدة ، فارقتها الروح ، وإنما هي تجربة تنبض بالحياة والحيوية ، كما أن " التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها ، أو إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له فليست هناك إذن صورة ثابتة لأية فترة في هذا الماضي " [2].

والتاريخ له مستويان من الأداء : التاريخ / أحداث ، والتاريخ / شخصيات ، ونعنى في هذا المقام باستدعاء التاريخ / شخصيات .

لقد استخدم الشعراء الشخصيات التاريخية في التعبير عن أفكارهم وقضاياهم المعاصرة ، التي يعيشون من أجلها ، ويؤمنون بها ، ويدافعون عنها ، إنها رغبة لنقل

1- نصار عبد الله : أحاديث أخرى عن المقتول ، إبداع ، مارس ١٩٩٢، ص١١٦.

2- د. مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربى (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر د.ت)ص٢٠٦،٢٠٥.

هموم الواقع المعيش إلى المتلقي ، ورغبة في مواجهة الحاضر المنكسر عند الشعراء المعاصرين في نوعين هما :

أولا : الشخصيات الإيجابية :

والمقصود بالشخصيات الإيجابية هي تلك الشخصيات الفاعلة ، التي قامت بدور إيجابي ، وأصبحت تحتل مساحة عريضة مضيئة في ضمير الوعي الجمعي ، لما لها من دلالة مشرقة ، فاتخذها الشعراء رمزاً للخلاص ، والقيم النبيلة ، والإيمان بالمبادئ .إنها شخصيات الإنسانية في أعظم حالاتها ومن أمثلتها عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ، وخالد بن الوليد ، وسيف الدولة الحمداني ، وصلاح الدين الأيوبي.

الشاعر محمد مهران السيد في قصيدة (الوردة والصقر) يستخدم شخصية خالد بن الوليد بدلالة مقابلة لموروثها ، ليبرز المفارقة بهذه الدلالة المعكوسة ففى الواقع التراثي خالد بن الوليد بطل مهيأ للحروب والمواجهة والكر والفر ، وسيفه بوصفه متعلقا ووسيلته في إثبات ذاته – كان مسلولا من غمده دائما يحرز انتصارات . أما عند مهران السيد فقد بدا خالد ضعيفاً ، فقد صولته ورجولته ، وأصبح سيفه – في ظل الواقع المعيش – مخنثا؛ فقد رجولته ، وهيبته الحربية ، وقدرته على الإنجاز بل إنه لم يصبح حلماً وانتظاراً .ثم يفضح الشاعر واقعه الرديء وما آل إليه ، حيث خلع مجده العربي القديم ، وارتدى رداء أعدائه :

"تخنث في الغمد سيف الوليد

وألبست الأرض زينتها من هبات اليهود"[1]

1- محمد مهران السيد : طائر الشمس (الهيئة العامة لقصور الثقافة أكتوبر ١٩٩١)ص٤٦. .

الشخصية الموقف:

المقصود بالشخصية الموقف هي الشخصية التي اعتنقت مبدأ ، وعاشت له ، ودفعت حياتها ثمنا لإيمانها به وتحملت في حياتها ، ما تحملت من الإيذاء والاضطهاد، وبعضها سال دمه ليكتب على صفحة الحياة موقفه النبيل ، القادر على صنع الإنسانية في أسمى مفاهيمها .

ومن الشخصيات التي ضربت مثلاً في الإيمان بالمبدأ ، والالتزام بالموقف والدفاع عنه : الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ؛ الذي يعده بعض الباحثين مفكراً اشتراكيا استوعب – بصفاء -، اشتراكية الإسلام ، فوقف طيلة حياته شامخاً كالطود ضد بذخ الحكام والولاة وإسرافهم ، ووقف ضد نشأة طبقة الأغنياء في المجتمع الإسلامي ، مصراً على أن الناس سواسية كأسنان المشط .

لقد وجد الشعراء في شخصية أبى ذر الغفاري مجالا تعبيريا ، وطاقة إيحائية ومرفأ يريحون عليه جوانحهم المتعبة من هموم الحياة ، وقسوة الواقع ، واختلال المبادئ والأنظمة ؛ من حالات التمزق التي تعترى الإنسان المعاصر .

ففي قصيدة " فوق ذراعي نقش باسم أبى ذر " يستخدم محمد أبو دومة شخصية أبى ذر الغفاري رمزاً لمواجهة السلطة ، وكشف عريها بالكلمة الفاعلة القوية ؛ التي لا تضل طريقها ، فالكلمة القارة على الفعل أمضى من سيف أهوج ، لأن السيف ليس أداة التعبير والتقويم الأمثل ، وإنما الكلمة الصادقة المستبسلة :

"ولبطن الأرض أحب إلىَّ ،

فإن ترفع مقتك أو لا ترفعه عنه ، لن يبتر سيافوك البررة ،

قلبي من أضلاع الحق ، ولن يسجن عسسك كلمات زرعتها ،

شفتاي بأعماق الريح المندفعة من أفواه السخط "[1].

وهناك شخصيات لها مواقف ودعوات نبيلة ؛ سال دمها الطهور من أجلها ، واستشهدت في سبيل دعواتها ومواقفها ، منها شخصية حمزة بن عبد المطلب – عم الرسول – عليه الصلاة والسلام وشخصية عبد الله بن الزبير ، والحسين بن على .

فلقد سال دم الحسين ، فكتب أنصع صفحة في سجل التاريخ ، وكشف عن أنبل موقف ؛ يمثل نموذجا للإيمان بالمبدأ .فالشاعر محمد محمد الشهاوى في قصيدته "النهار ومحكمة كل ليلة " يتخذ الحسين رمز المتصدي لقوى البغي والباطل ، في مقابل التضحية بنفسه من أجل الإيمان بمبدئه حتى إن كان الخلاص دموياً :

"عيناك يا حبيبتي وحيرتي حوار

وإن يلفنا الممات ظامئين

فإنما لكل أمة حسين"..." [2]

ثانيا : الشخصيات السلبية :

هذا النوع من الشخصيات التراثية يمثل القهر والسلطة في أعطى جبروتها ، وقسوتها وظلمها ، وحبها لسفك الدماء ، حيث سطرت هذه الشخصيات سطوراً مظلمة في سجل التاريخ ، وارتبطت في قرار الوعي الجمعي بالسقوط والسلبية ، وأصبحت دلالة على كل حقبة تاريخية تتميز بالبطش والقسوة والخداع والمداهنة ؛كشخصية معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد بن معاوية ، وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي، وكافور الأخشيدى ، وجنكيز خان ، وغيرهم ..

1- محمدأبودومة:السفرفي أنهارالظمأ(القاهرة:الهيئةالمصرية العامة للكتاب١٩٧٩)ص٨٢

2- محمد محمد الشهاوى : زهرة اللوتس ترفض أن تهاجر ، ص٢٩.

obeikandl.com

فالشاعر أمل دنقل يستخدم معاوية بن أبى سفيان رمزاً للمخادع والمداهن الذي ينتزع السلطة بالمكر والحيلة ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، فيقول في قصيدته : "الموت في ..الفراش ":

"أيها السادة لم يبق انتظار

قد منعنا جزية الصمت لمملوك وعبد

وقطعنا شعرة الوالي ، ابن هند " [1].

لقد شهدت الحقبة التي عاشها (معاوية بن أبى سفيان) اضطراباً كبيراً ، حيث بدأت الفتنة تشتعل عندما دب الخلاف بينه وبين على بن أبى طالب ، وانقسم الناس – في ذلك – شيعاً وأحزابا.* وقد اتبع معاوية سياسة اللين والمداهنة والحنكة حين اعترف بسياسته في عبارته المشهورة :" لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، لأنهم إذا شدوا أرخيت ، وإن أرخو شددت .."

ويكشف الشاعر محمد صالح الخولانى – عن البعد نفسه : السلطة المخادعة المضللة – في قصيدته " رسالة الحر الرياحي الأخيرة إلى أبى سفيان ":

كنت أرتاد على خطوك في حلمي مراد الكبرياء

وأرى في سمتك الفارس سمت النبلاء

وأحس الزمن المرجو قد أذن للصبح وجاء

غير أنى يا أمير المؤمنين

برقت لي من لياليك سحابات كذوب مفتراه

أظمأتني فوق متن الريح أزمانا وما جاءت بشي"[2].

1- أمل دنقل : الأعمال الكاملة (بيروت :دار العودة ١٩٨٥)ط٢ص٢٤٨.

2- محمد صالح الخولانى : في ذاكرة الفعل الماضى (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أصوات مارس ١٩٩١)، ص٨.

لقد عانى الإنسان المعاصر بصفة عامة والشعراء خاصة من تتابع سلطات منحلة ، وحكام ضعاف ، أهدروا كيان الإنسان العربي ، وطمسوا ملامح نخوته العربية ، وصلابة مجده وشموخه ، وأصبحت السمة الغالبة على السلطة المعاصرة السلبية والانحلال ، والرجولة المسلوبة ، كما في قصيدة أمل دنقل " من مذكرات المتنبي " حيث يتخذ كافوراً رمزاً للانحلال والسقوط والسلطة الضعيفة المهزومة ، بل يضع الماضي بشموخه في مواجهة الحاضر المنكسر :

" أمثل ساعة الضحى بين يدي كافور
ليطمئن قلبه ، فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة
..أبكى على العروبة
..يومئ يستنشدن ! أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه في غمده يأكله الصدأ" (١)

أما ملمح البطش والجبروت في الشخصية التراثية – السلطة بل كيانها – يتجسد في شخصية " الحجاج بن يوسف الثقفي " ؛ الذي ارتبط اسمه بالحفاظ على ملك الأمويين والدفاع عن مصالحهم ودولتهم ، ضد من يعلن العصيان والخصومة ضدهم، وقد استخدم الحجاج كل السبل الدموية في تصفية خصوم بني أمية ، ولم يهمل سلاحا

1- أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص١٨٩.

obeikandi.com

فعالا – مشروعا أو غير مشروع – في ممارسته السياسية ، وأعلن عن نفسه بأنه سفك الدماء ، وفعل الأمور التي لا يقدر عليها أحد [1].

وقد افتتن الشعراء المعاصرون بشخصية الحجاج افتناناً كبيراً ، وعبروا من خلالها عن قضاياهم ، خاصة أنه يمثل طرفي المعادلة – التي يكابدها المثقف المعاصر بوجه عام، والشاعر بوجه خاص- الصراع بين الكلمة / المثقف ، والسيف / السلطة ، فالذي يزعج السلطة دائما ؛ ويسبب لها قلقاً هو المثقف ، لأنه أقدر الناس على الاكتشاف والمواجهة ، وكشف العرى والزيف وهذا " عبده بدوى" يستخدم شخصية الحجاج رمزاً للجبروت والبطش ، رمز الحاكم الذي يهيمن على الرعية بقبضة من حديد فيقول :

" يا أهل الكوفة

لا يجتمع اثنان

إن يجتمعا فالثالث سوف يكون السيف!

لايلقي إنسان أذنه

إن سار وخلاها فسأقطعها

وسأقطع منه الكف

فلقد كان الأحرى به

أن يحشرها في أذنه

إشفاقا من صوت الحرف" [2].

1- لمزيد من التفاصيل : راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ،؟ تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة د.ت) ج٢، ص ٢٩وما بعدها .

2- عبده بدوى : دقات فوق الليل ، ص٦٢.

وهناك شخصيات تاريخية كثيرة وردت الإشارة إليها في قصائد الشعراء لم يتبلور لها رمز واضح المعالم ، كما يشير السياق .وهناك شخصيات إشارية ليست لها رصيد معرفي في مخزون الوعي الجمعي ، فأثرت الدراسة عدم التعرض لها .

الشخصية الأدبية :

تفاوتت الشخصيات الأدبية من حيث كثرة الاستخدام وقلته ، فهناك شخصيات قد هيمنت على رؤى الشعراء المعاصرين – وانتشرت انتشارا واسعا كشخصية امرئ القيس ، وعنترة بن شداد ، وأبى الطيب المتنبي – لما لهذه الشخصيات من تعدد إيحائي وثراء دلالي .فالشاعر امرؤ القيس كان متعدد الجوانب ، عاش قضايا كثيرة ؛ فهو الشاعر الذي خرج على الأعراف القبلية ، والتقاليد العربية ، بل خلق لنفسه منهاجا خاصا ؛ فهو الشاعر الضليل ، والملك ، والعاشق والفارس والماجن ، عاش في طقس متعددا لجوانب ، فقد جاء وجده الحارث ملك على كندة ، وسلطانها يمتد فيشمل الحيرة، وأبوه وأعمامه يتقاسمون قبائل وسط الجزيرة وشمالها الشرقي ، يحكمونها بالسياسة طوراً وبالقهر أطواراً ، وكان هو أصغر إخوته ، فلم يكن بدعا أن يصبح الولد المدلل الذي يقضى نهاره في صيد ولعب ، يسهر ليله في شرب وطرب ، ويرافق في هذا جماعة من صحبه ممن هم على شاكلته ، من أبناء أسرته المالكة [1].

وكان امرؤ القيس على خلاف دائم مع والده حجر بن عمرو ، الذي لم تكن صلته قوية ، بل كان يكرهه ، حتى إنه دعا مولى له أن ينطلق بابنه امرئ القيس ويقتله، لكن المولى لم يفعل ، فاضطر حجر إلى طرد امرئ القيس خارج قبيلته ، فظل يهيم على وجهه شريداً طريداً ؛ يحمله مجونه ولهوه من بلد إلى آخر ، ثم آلت إليه وصية والده –

1- أنظر:الطاهر أحمدمكي:امرؤالقيس،حياته وشعره،ط٤القاهرة:دارالمعارف١٩٧٩.ص٥٨

بعد أن رفض أبناء حجر تنفيذها – أن يأخذ ثأره من بني أسد ، فقال عبارته المشهورة : " ضيعني صغيرا ، وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغدا أمر ".وقد خذلته القبائل ؛ فلجأ إلى القيصر ؛ ليساعده في الثأر لأبيه ، ولكن القيصر انتقم منه عندما علم – من الوشاة – بعلاقة امرئ القيس بابنته ، فأرسل إليه حلة مسمومة منسوجة بالذهب ،فلبسها وسقط جلده [1].

وقد وقع الشعراء على الجوانب الدلالية الموحية في شخصية امرئ القيس ، وتعددت الدلالات حسب اختلاف الرؤى ، فاستلهموا جوانب تبلور تجاربهم ، وتكشف عوالمهم ، ففي قصيدة (معلقة جديدة لامرئ قيس جديد !!)، يستخدم محمد أحمد العزب امرأ القيس رمزاً للانكسار ، فهو امرؤ القيس / المعاصر : الفارس المهزوم ، الذي يؤثر التقهقر والفرار من ساحة المواجهة :

"وقد اغتدى ...
والمغول يجوسون في رئتي ،
بقيد الأوابد ،
وعد الجنان !!
مكر،..
مفرُ..
يكرُّ..
أفرُّ..
ويقبلُ..
أدبر..

1- راجع : الأغانى ، ج٩، ص٧٧وما بعدها .

يلتحم النسر والبط ..

وقتا ركيكا ..ركيكا..

ويسترخيان..

(توراة فتح جديد)..

ونقرأ نحن ..

تواشيح محو كيان الكيان !!! [1].

أما شخصية عنترة بن شداد العبسى فنالت إعجابا كبيراً ؛ فانتشر استخدامها برؤى وملامح متعددة ، فحياة عنترة متعددة الجوانب ، فهو الفارس المغوار ، والشاعر الخلاق ، والعبد الذليل الذي عانى ذل العبودية في قومه ، وهو الحبيب الذي يغامر بنفسه من أجل محبوبته والعاشق الفائز.

يستخدم فوزي العنتيل شخصية عنترة بن شداد رمزاً للثورة ، ويخلع عليها معطيات المنتظر/ المخلص ، فهو الماضي الزاهر القوى الفاعل أمام الحاضر السلبي .يقول العنتيل في قصيدته (رحلة في أعماق الكلمات):

" يا عنترة العبسى هتفت حزين النبرات :

كلماتك عانقها سيفك

في عرس الدم

فتلألأ نور حسامك في فجر الكلمات

ودعاك الموت فلم تحجم

حدثني كيف مذاق الموت؟ وما لونه ؟

أنشدني ، حتى تزهر في روحي الجنة " [2].

1- محمد أحمد العزب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢٤٦،٢٤٧.

2- فوزي العتيل : رحلة في أعماق الكلمات ، ص٢٣.

تعانى كثير من الشعوب من جبروت السلطة ، واختلال أنظمتها الحاكمة ، فيسود المجتمعات التدهور و التفسخ ، وتتحمل الشعوب المغلوبة على أمرها تبعات الاختلال والجبروت وكبت الحريات عاش عنترة بن شداد في مجتمعه هذه المفارقة ، حيث ظفر سادة بنى عبس بنعيم العيش ورغده ، وعانى ذل العبودية وحرمانها ، وعندما تعرضت قبيلة عبس للهلاك والسبي والخطر ، ترك السادة الميدان خالياً ولاذوا بالفرار ، ليتحمل عنترة وحده عبء المأساة !

ومن الشخصيات الأدبية شخصية أبى الطيب المتنبي ، وقد افتتن الشعراء بها افتتانا كبيراً ، حتى إننا نكاد نطالع وجهه في كل ديوان معاصر .

والمتنبي شخصية عربية الاعتزاز والنخوة ، طموحة تسعى إلى المجد والرفعة، كان شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه على أهل زمانه ." ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والمجد عبثا ، ولا كان عاجزاً يمنى نفسه بالقول دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى الشيخ المجد " [1].

كان المتنبي شاعراً صلباً مزهواً حتى في علاقته بالسلطة ، فقد اشترط على سيف الدولة الحمداني ألا ينشد شعره واقفا ، وألا يقبل الأرض بين يديه كسائر الشعراء .كان جديراً أن تحتل هذه الشخصية صفحة ناصعة في مخزون الوعي الجمعي ، فأقبل الشعراء على استدعائها .

الشاعر محمد محمد الشهاوى في قصيدته (وثيقة) استخدم شخصية المتنبي رمز المثقف / الشاعر الذي يلتزم بمبدئه ، ويضحى من أجل موقفه ، رمز المواجهة ، فلقد واجه أبو الطيب المتنبي الموت ولقى حتفه لأنه التزم بموقفه عندما خرج عليه " فاتك بن أبى جهل الأسدي " ، لينتقم لابن أخته " طبقة" وكان ابنه **محسد** وغلمانه أقل من

1- عبد الرحمن البرقوقى : شرح ديوان المتنبى ،ص ٣٣،٣٤.

عدوه عددا ، ولكن المتنبي قاتل – ملتزما بموقفه – حتى قتل ، وقتل ابنه .يقول محمد الشهاوى :

"(كان يمكن للمتنبي الفرار

لكنه قد أبى)

هكذا قلت حين رأيت الصحاب

وقد هربوا واحداً واحداً

تاركين صياصيهم والمعارك !

فادفع اليوم عمرك – يا صاحبي – ثمنا لاختيارك " [1]

ويأتي أبو نواس الذي ارتبط اسمه في ضمير الوعي الجمعي بالتمرد والخروج على التقاليد والأعراف ، ونبذ الوقوف على الأطلال ، وإدمان الخمر – ضمن الشخصيات التى انتشرت في الشعر العربي المعاصر انتشارا واسعا ، حيث وجد الشعراء المعاصرون في شخصيته أبعادا تناسب تجاربهم وهمومهم خصوصاً في حديثه عن الخمر ، الذي يؤكد علاقة الشاعر بعصره ، والانطلاق من خلاله للتعبير عن رؤاه.

أما شخصية الخنساء فقد ارتبطت في ضمير الوعي الجمعي بالمأساة والحزن ، فقدت أخاها صخرا ، وأوقفت جل إنتاجها الشعري في رثائه ، ثم فقدت أبناءها الأربعة في إحدى الغزوات ، وتضافرت عليها المحن والأزمات ، فكانت رمزاً للفاجعة والمأساة ، وأقبل عليها الشعراء المعاصرون يستخدمونها بهذا البعد ، فالشاعر أحمد سويلم يستخدمها في قصيدة (الخنساء توصى أبناءها الأربعة) رمزاً للوطن المفجوع ؛ الذي ألمت به الكوارث ، وتضافرت عليه المحن .إنه الواقع العربي بكل مأساته

1- محمد محمد الشهاوى ، إبداع ، مارس ١٩٨٨، ص٣٧.

obeikandl.com

" لكنك يا خنساء أدرت لنا ظهرك فوق التل

أجريت دموعك أنهاراً ..

أبكيت طيور الساحة

انفرطت من أيدينا باقات الغلواء.!

كدنا ..يبرأ منا قلبك

أنكرت العودة ..والجلبة ..والزهو المتخم

وأشرت إلى جرح الوطن على ساحلنا – لم يهدأ –

وأشرت إلى قلب ما زال يئن .." [1]

وهناك شخصيات أدبية ارتبطت بقضايا عاطفية ، ضربت النموذج في العشق ، ووجد فيها الشعراء المعاصرون فرصة للخروج بها من إطارها العاطفي المحدود ، ليحملوها بقضايا أكثر اتساعا وشمولا .فالشاعر مصطفى رجب في قصيدته (اعتراف جديد لابن أبي ربيعة)يستغل الشاعر العاشق عمر بن أبى ربيعة في علاقته بمحبوبته "هند" حيث يتخذ " هند" رمز المعشوقة المسوفة ، المخادعة ، الكاذبة ؛ التي لا تفي لعاشقها بوعد ؛ فتشفى غليله ؛ وتطفي لظاه ، فهي المعشوقة / الوطن ، التي سحقت عشاقها ، وغزت أفئدة الجوع بأحلام كذاب ، بل إنها أحرجت عشاقها يوم تعرت بينهم وقعدت ، وإن سئلت عن وعدها قالت : بعد غد :

"ليت هندا أنجزت ، أو عزت للناس أن قد أنجزت ،

أو أوجزت في الوعد لما وعدت !!

ليت هندا ما غزت أفئدة الجوعي بأحلام كذاب ، ليتها

من قبل أن تبرق رعدت !!

1- أحمد سويلم : السفر والأوسمة ، ص٧٣،٧٢.

obeikandi.com

إن هندا أحرجت عشاقها ووكزت

من وكزت ، ووخزت من وخزت ، وقتلت من قتلت ،

وحين عوتبت أبت أن تسمع العتب ، بدت كأنها ما سمعت

ولا وعت ..تباعدت !!

كلما قلت متى ميعادنا ؟ ضحكت هند وقالت : بعد غد!!"

وقد استخدم الشعراء شخصيات أدبية كثيرة ؛ بعيدا عن شخصيات الشعراء القدامى ، مثل شخصية : عبد الله بن المقفع ، والجاحظ ، وبديع الزمان الهمذانى ، والمويلحي ، وغيرهم ، وكان استخدام الشعراء لها استخداما غائما يعتمد في أغلب الأحيان على الصورة الجزئية .

الشخصية الفولكورية :

الأدب الشعبي أو الفولكلور *Foilklore* "يرادف عند بعض العلماء المعرفة الدارجة ، وهو حصيلة ما تراكم من الخبرات والمعارف ، والممارسات عبر الأجيال، .بما يعد من قبيل الثقافة التقليدية ، وهى تختلف عن المعرفة العلمية .وهكذا يمكن أن يقال إن علم الفولكلور هو ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية ، الذي يهتم بجمع وتصنيف ودراسة المواد الفولكلورية . بمنهج علمي لتفسير حياة الشعوب وثقافاتها عبر العصور ".[1]

وتعد الشخصيات الفولكلورية من الشخصيات التراثية المرتبطة بالوعي الجمعي ارتباطاً عميقاً ، نظراً لوضوح ملامحها ومعالمها التراثية ، وكثرة تداولها على المتلقي العربي .

1- د. عبد الحميد يونس : معجم الفولكلور (بيروت ، مكتبة لبنان ١٩٨٣)ص١٧٣.

obeikandl.com

وتنتمي الشخصيات الفولكورية إلى ثلاثة مصادر أساسية هي :" ألف ليلة وليلة"، " السير الشعبية " و" كليلة ودمنة " .وتعد شخصيات " ألف ليلة وليلة " أكثر المصادر الثلاثة انتشاراً واستحواذاً على اهتمام الشعراء .

فقد التفتوا إليها بوصفها فنياً ، يمكنهم النهل منه ، كما يمكنهم نقل تجاربهم وهمومهم إلى المتلقي بواسطته ، خاصة بعدما أدرك المستشرقون ما في هذا النبع الفياض من ماء عذب[1]يبلل الظمأ ، ويبعث في جسد التجربة الشعرية نشوة الحياة .

وتأتى شخصية السندباد البحري في مقدمة شخصيات " الليالي" فهي أكثرها انتشاراً؛ لتنوع ملامحها الدلالية ، ويشير د.على عشري زايد – إلى أحد العوامل التي لفتت أنظار الشعراء المعاصرين – فيقول :" لا شك أن جهود الدكتور حسين فوزى في مجال إلقاء الضوء على هذه الشخصية ، وقدرتها على حمل الأبعاد المتعددة لتجربة الإنسان المعاصر ، ومغامراته في دروب الوجود"[2].

فالسندباد هو ذلك التاجر الجواب الذي يطوف البلاد بحثا عن الكنوز والطرائف والعجائب ، ويقاسى في رحلاته ؛ حيث يتعرض – خلالها – لأصعب المواقف ، يجتازها بعد مكابدة ، وهو عند د. حسين فوزي " صورة رجل بعيد الهمة متوثب الروح ، تواق إلى المعرفة ، متوقد القريحة ، واسع الحيلة ، لايستسلم لمصيبة ، ولا يجثو لصروف الحدثان . والسندباد بهذا علم على جميع الرواد المستكشفين " [3].

1- لمزيد من التفاصيل حول هذه القضية راجع :د. على عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر ، ص١٩٥وما بعدها .و : الرحلة الثامنة للسندباد (القاهرة : دار ثابت للنشر والتوزيع ١٩٨٤)ص٣٧وما بعدها .

2- د. على عشري زايد : الرحلة الثامنة للسندباد ،ص٤٧.

3- د. حسين فوزي : حديث السندباد القديم (القاهرة : لجنة التأليف والنشر ١٩٤٣)ص ٣٦٢،٣٦١، نقلا عن السابق نفسه.

وقد كانت رحلات السندباد ومغامراته " استجابة لنزعة فطرية في نفسه إلى المغامرة وركوب الأخطار ، ومحاولة إثبات ذاته وإضفاء معنى على وجوده من خلال ارتياد المجهول والمغامرة "[1].

والشعر مغامرة وسفر دائم في دروب المجهول .إنه كشف وخلق ، إمعان في الذات ، وسعى لاكتشافها ، ومحاولة لكسر الجمود والثبات ، لأنه حركة وتجاوز دائماً إلى الأمام .الشعر تحقق من خلال الخروج ، والدخول إلى عوالم جديدة ، لذلك كله كان السندباد

أداة ملائمة لهذه الرؤى ، وملاذاً للشعراء ، وشاطئاً يريحون عليه جوانحهم المتعبة ؛ فهو يحمل " وجه من يعانى قريراً مخاض الميلاد الشعري ، ويكابد أهوال الرؤية الشعرية ويخوض أخطارها في سبيل الوصول إلى جوهر الفن الصادق ، واكتشاف كنز الشعر البكر الذي لا يصل الشاعر إى عبر رحلة طويلة من المعاناة الباهظة " [2].

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن هذه الشخصية عادية وغير عادية في الوقت نفسه ، هي عادية على المستوى الجمعي للإنسان ، لأنه قصة إجمالا – وفى إيجاز – هي قصة المغامرة في سبيل كشف المجهول – وهى غير عادية على المستوى الفردي ، لأننا ألفنا الفرد الذي تتلخص فيه التجربة الإنسانية نادراً [3].

وقد تنوعت دلالات السندباد في قصائد الشعراء كل شاعر يستجيب إلى الدلالة التي تناسب تجربته الفنية والنفسية ، ففي قصيدة :(هكذا غنى السندباد)لعبد المنعم عواد يوسف يبدو السندباد رمزاً للإنسان المهزوم المنكسر المتعب ؛ الذي لم يأخذ من

1- د.على عشري زايد : الرحلة الثامنة للسندباد ،ص٢٧.
2- السابق ص٥٤.
3- د.عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص١٧٥.

مغامراته غير الندم ؛ ولم يحز شيئا غير الأسى والألم ، كما أنه لم يأخذ من ركوب البحر غير خواء المحار ؛ حتى فقد – من كثرة انكساراته وهوانه وآلامه –ملامح وجهه القديم ، ونسى كل ماضيه الجميل :

" وقالوا :" تعلمت من خوضك البحر

لا ، ما تعلمت غير الندم

وقالوا :" وحزت الكنوز الكبار "،

وما حزت غير الأسى والألم ...

وقالوا :" ومن يجتز البحر يرجع بدر البحار

أقول لكم :

تغربت حتى نسيت ملامح وجهي القديم ..

تغربت حتى نسيت اسم أمي ، واسم أبى ،

وأهلي وكل الأحباء والأصدقاء

وحتى حبيبة روحي التي ذات يوم أضاءت حياتي بأبهى ضياء

نسيت اسمها

وما عدت أذكر غير التغرب عبر البحار

طوال الليالي ، وطول النهار

فيومي عذاب ، وليلى سهاد

أنا السندباد

أنا السندباد " [1].

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢)ص٩٢،٩٣.

obeikandl.com

وفى قصيدة (رحلة) للشاعر الدكتور عز الدين إسماعيل يبدو السندباد رمز المغامر المجازف ، الذي يسعى لخلق حياة ترقى على الواقع المعيش ، على الرغم من أن رحلته مصحوبة بالأسى والحزن (خلف الشجون والدموع والعرق) لكنه يحلم أن يعود بالنضار – رغم مكابدة الأخطار والأهوال – فيكتب على قلوب المنتظرين مجيئه ودهشته ، ويخطف أبصارهم ، فهو المحمل بالوعد ، ويطرح الشاعر تساؤلا يحمل الحيرة والقلق ، وشهوة الانتظار (ترى يعود السندباد) وفى تساؤله يخلق حالة للسندباد موازية لحالته المغلفة بالشك :

" اليوم أنجز السفين ..أجدل الحبال ..أنشر الشراع

أودع الصحاب والأحباب

لرحلة خلف المدى

خلف الشجون والدموع والعرق

أحمل من تراب أمسى قبضتي تذكار

على أعود – إذ أعود – بالنضار

فأبهر الورى وأخطف القلوب ..أخطف الأبصار

ترى يعود السندباد ؟

ترى يعود للقلوب الاخضرار ؟" [1]

ومن الشخصيات الفولكورية التي تنتمي إلى " ألف ليلة وليلة "، وشاع استخدامها في الشعر المعاصر : شخصيتا : شهريار ، وشهر زاد :، وقد ارتبطت هاتان الشخصيتان بقضايا الشاعر المعاصر ، وأهمها قضية الصراع بين المثقف والسلطة ، فشهريار كما تقول "الليالي " يسعى لاجتياز مشكلته بإراقة الدماء ، فهو

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد ،ص٩٢،٩٣.

obeikandi.com

السلطان الطاغية ؛ الذي يقتل في كل ليلة واحدة من النساء – تكون بكراً – انتقاماً لما قامت به زوجته من فعل فاحش،حيث خانته مع أحد عبيده ، فيقتلها ويتخلص منها ، ويجتاز أزمة نفسية حادة ، ثم يتزوج كل ليلة فتاة عذراء ، ويقتلها في الصباح .حتى اضطر الناس إلى الهرب وترك المدينة خوفاً على بناتهم .

ويتحول شهريار من طغيانه ووحشيته إلى ذلك الإنسان الوديع الحكيم ؛ بعدما تزوج من شهرزاد ، التي استطاعت أن تلعب دور المخلص ، حيث خلصت الفتيات من سطوته ، وحالت بينه وبين التهور والانحراف ، بأقاصيصها وأحاديثها الجذابة الشائقة، فردت إليه الثقة في المرأة .[1]

لقد وجد الشعراء في شخصية شهريار مناخا ملائما للتعبير عن قضية الصراع بين السلطة والمثقفين ، حيث تبدو ملامح السلطة بكل معطياتها في شخصية شهريار ، فالشاعر أحمد سويلم في قصيدة (شكوى شهريار الفصيح) يتخذ شهريار رمزاً للسلطة الباطشة ، ويكشف من خلاله عن عنق الصراع الدائر بينها وبين المثقف ، بين الكلمة والسيف :

"عنكم اسكتنى الخفراء

سلبوا خبزي وشعيري ..ولياالى الألف

قلبوا أكوابي ..نسجوا من أحلامي المقهورة

ألوان الطيف

جعلوا دمعي مطر الصيف

رحت أجادلهم بالشكوى ..والسلوى..والكلمات

1- انظر : سهير القلماوى : ألف ليلة وليلة ، المجلد الأول (القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩)ص٥وما بعدها .ود. عبد الحميد يونس : معجم الفولكلور ، ص٤٤وما بعدها .

لكن منطقهم كان السيف

مدو خط العمر ..وخط القلب ..وخط الخوف

خنقوا أيامي في كفى

أعترف الآن

أنى أتقادم أثمار الزمن على فودي "[1].

و" شهر زاد" كما تقول " الليالي " هي ابنة الوزير ، وقد قبلت الحياة ، خادمة أو جارية ، بل زوجة – ولو لليلة واحدة في بلاط السلطان " شهريار " ، تنتظر الموت في أية لحظة . عرفت بالحكمة والوعي والحيلة وسعة العقل ، والقدرة على مواجهة الشر / شهريار واستطاعت بثقافتها أن تروض " شهريار" وتقضى على طغيانه ؛ بأحاديثها الشائقة التي استمرت ترويها له ، مع بترها كل ليلة عند جزء مثير ؛ لتضمن أن يتركها السلطان ،إلى الليلة التالية ؛ لكي تكمل له القصة ، حتى استطاعت أن تبقى على حياتها في رحاب الملك وبلاطه ألف ليلة وليلة .[2]

وأخذت شهرزاد مكانة مرموقة في الشعر المعاصر ، حيث صارت تعبيراً عن قضايا معاصرة ، وكل شاعر يتخذها رمزاً لقضية يحياها وتؤرقه ، فقد استخدمها الشاعر محمد أحمد العزب في قصيدته (تصوري) رمز المعشوقة / الوطن ، التي يكابد عشاقها في حبها آلام الهوى والعشق ، هي كل عالمه ، تحاصره من كل الجهات، إنه العشق الذي يسكن نخاع الوطني:

" لن أكتب استقالتي من الرحيل فيك "

سجلي

أنا محاصر في عشق شهر زاد

1- أحمد سويلم : الشوق في مدائن العشق ، ص٩٨ .
2- سهير القلماوى : ألف ليلة وليلة ، ص٥وما بعدها .

من مساء ألف ليلة وليلة ،

وسجلي،

إن المدى في عشق شهر زاده تضور!!" [1]

ومن الشخصيات الفولكورية التي شاع استخدامها في الشعر المعاصر شخصية "مسرور" السياف ، وشخصية علاء الدين ، والزير سالم ، وبدر البدور ، وسيف بن ذى يزن ، وأبو زيد الهلالي وغيرهم . وقد استخدمها الشعراء بصورة أقل من استخدامهم للشخصيات سالفة التناول.

الشخصية الأسطورية :

الأسطورة توأم الشعر ، فعودة الشاعر إليها إنما هو حنين الشعر لتراب طفولته، والأسطورة إذ تحتضنها القصيدة تتحول في بنيتها طاقة خالقة للأداء الشعري. حيث يتمثل فيها التراث الشعبي والعمل الجمعي بصورة عضوية تؤطر موقف الإنسان بالمعنى العام وقيمه امتداداً في الزمن الذاهب والآتي مضافاً إليه – بالضرورة – حاضره أيضاً[٢].

ولم تكن معرفة الشاعر بالأسطورة جديدة ، وإنما هي قديمة قدم الشعر فلقد عرفها الشاعر القديم .وإن كان استخدامه لها استخداما إشاريا ، فهي ذخيرة بدائية تكشف وتثير العقل الباطن الجماعي للإنسان. [٣]

أصبح الإنسان المعاصر أمام عالم يموج بالتغيرات الحضارية والنفسية ، وشهد انهيار كثير من القيم والمبادئ ، عالم كل ما فيه يسحق الإنسان سحقاً ، بالإضافة إلى

1- محمد أحمد العزب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٧٩.
2- انظر : د. رجاء عيد : لغة الشعر ص٢٩٥.
3- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ، عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، اكتوبر /نوفمبر ١٩٨٥ص٢٩.

طغيان الآلية ،حيث أصبحت الآلة هي الوجه المعبر عن حقيقة العصر ، وفى مواجهة ذلك تقلصت ملامح الإنسان والإنسانية .

أما الشاعر المعاصر فقد أحس أمام الانهيارات والتصدعات الشاملة برغبة جارفة في الارتداد إلى النبع ؛ ليرشف من الماء العذب ، وينهل من المعين النقي ،فلجأ إلى الأسطورة بوصفها وسيلة من وسائله الفنية ، التي يستطيع – من خلالها – أن يخلق طقساً فطرياً بدائياً ، لم يعرف التلوث ، ويتطهر فيه من دون درن الواقع المعيش، ويواجه الحاضر المعقد بالماضي البدائي البسيط ، الذي يحمل قدرة خارقة على الفعل ، ويحاول من خلال الأسطورة أن يبرز للمتلقي جنونه الجميل ، ويجسد شعوره ووجدانه في أسمى حالاته وتجلياته ، آخذاً في اعتبار دور الفكر ،لأن عالمه الجديد ينهض – أساساً – على نتاج شعوره ورؤاه الفكرية .

والشاعر حين يعود إلى الأسطورة فإنه لا يعود إليها بوصفها تراثاً ثقافياً عن الأقدمين فحسب ، فيستخدمها استخداماً قصصياً من الخارج أى يعبر عنها ، دون أن يقف على رغبته الأساسية ، التى تكن في تفجير مخزون الأسطورة الانفعالي والوجداني والمعرفي ، فالأسطورة " يعاد خلقها ويعاد تحليل سياقها لتتخلق في رؤية جديدة ، وتصنع مظلات كونية ونفسية بواسطة اندماجها في بنية اللغة الشعرية ، وتكتسب في الوقت نفسه عقلانية فنية ، نتجاوز بها عقلانيتها المنطقية ". [1]

والتعامل مع الأساطير يحتاج قدرات خاصة ، وشاعرية واعية فيعيد الشاعر صياغتها وفقاً لتجربته ورؤيته الخاصة ، ولا يكتفي بحدودها الثابتة في التاريخ ، فتعامله معها " يخضع- أو ينبغي أن يخضع – لنفس المبادئ التي تحكم استخدام الرمز الشعري .ذلك أن الأسطورة أقرب إلى أن تكون جمعاً بين طائفة من الرموز المتجاوبة،

1- د. رجاء عيد : لغة الشعر ، ص٢٩٦.

يجسم فيها الإنسان العربي بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة ، حيث شهدوا الانكسارات التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين ونكسة يونيو٦٧. فحاولا الشاعر أن يخلق لنفسه عالما خاصا يحميه من قسوة ذلك الواقع ، وتصدعاته الاجتماعية ، فاستطاع أن " يعيد استخدام الأسطورة القديمة من خلال اعتماده على رصيدها من الرموز الانفعالية ليخلق الأسطورة المعاصرة ، وتجربة الشاعر هنا تجربة ممتدة داخل الوجود الإنساني في كل مواقف التاريخ " [١].

وفى الوقت نفسه أيقن المبدع المعاصر أن "الأسطورة ليست مجرد نتاج بدائي ، يرتبط بمراحل ما قبل التاريخ أو بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان ، وأنها لا تتفق وعصور الحضارة ، وإنما هي عامل جوهري وأساسي في حياة الإنسان في كل عصر ، وفى إطار أرقى الحضارات " [٢].

ويعد الشاعر والناقد الإنجليزي ت.س إليوت أحد المصابيح التي كشفت آفاق الأساطير وأهميتها للشاعر العربي المعاصر ، وما فيها من ثراء وطاقات تعبيرية ، كما فعل في قصيدته " الأرض الخراب" ، حيث استخدم أسطورة الخصب ، تعبيراً عن حب عظيم ، وتأكيداً لقدرة الإنسان على التضحية والعطاء وكان أكثر ما جذب الشعراء فكرة الموت القربانى الذي يؤدى إلى الولادة الجديدة .

وقد كان هدف إليوت من وراءه انحيازه للنهج الأسطوري هو البحث عن أداة تعبيرية ، تتمثل في اللغة ، تكون موحية ورامزة ، تجنح للخيال ، وتستوعب غموض الحياة ، وتنافر معطياتها وزحمها ،" وقد وجد إليوت أن هذه اللغة هي الرموز ، ومنطقها هو منطق الخيال " [٣].

1- د. السعيد الورقى : الأسطورة ..وأثرها في الشعر العربى المعاصر ، مجلة " الكاتب" العدد٢٠٠، نوفمبر ١٩٧٧ص٩٧.

2- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربى المعاصر ، ص١٩١.

3- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربى المعاصر ، ص١٩٨.

واستخدم الشعراء المعاصرون الشخصيات الأسطورية مدركين أن " كل شخصية من هذه الشخصيات لها تجربتها الخاصة الواقعية ، أو الممكنة ، ولكنها في الوقت نفسه تلخص وجهاً من وجوه التجربة الإنسانية الشاملة الممتدة " [1].

وتصبح الشخصية الأسطورية أكثر فعالية إذا قامت بدورها في إثراء التجربة الشعرية ، والشاعر لابد أن يكون واعيا بهذا الدور ، قادرا على إنتاج دلالتها المتجددة من خلال السياق ، فإذا لم يكن على علم بأصولها التراثية ومغزاها الرمزي أخفق في غايته .

وتعد الشخصية الأسطورية من أخطر الشخصيات التراثية التي يتم استدعاؤها ، لأن نجاح الشاعر في استخدامها يتوقف على الالتحام بالشخصية ، وتقديمها للقارئ في زى يستطيع أن يتعاطف معه ، أى لابد من وجود أرض مشتركة حتى يلج القارئ إلى عالم النص.

وكثير من الشعراء يخفقون في استخدام الشخصية ، لأنهم غير ملمين بالمرجعية المعرفية لهذه الشخصية .والتجربة تستغلق على القارئ خصوصاً إذا كان هو كذلك غير ملم بأبعاد الشخصية وأصولها .ومن هذا المنطلق " كان استخدام الأسطورة في الشعر محاولة للارتفاع بالقصيدة من تشخصها الذاتي إلى إنسانيتها الأشمل والأعم ، وإكسابها بعداً أعمق ، ومجالاً أفسح ، وتأثيراً أرحب ، لتتجاوز – في الوقت نفسه – الأنى المحدد الزمنية إلى (الجوهر) الممتد في الزمنية المطلقة [2].

ومن الشخصيات الأسطورية التي استخدمها الشعراء المعاصرون في قصائدهم بكثرة أسطورة إيزيس وأوزيريس وحورس من الموروث الفرعوني ، وقد " أحب

1- السابق ص١٧٦.
2- د. رجاء عيد : لغة الشعر ص٢٩٨.

الناس هذه الأسطورة ليس في مصر وحدها ، بل أحبها أهل أوروبا منذ أكثر من ألفى عام ، ومن الطبيعي أن طيبة الملك قد جذبت الناس حينما تعرض لعدوان أخيه "ست" وتعرض لولده حورس وأمه إيزيس للعدوان أيضا "[1].ويضيف ردولف سبباً آخر لتعلق الأوربيين بهذه الأسطورة فيقول :" إن أسرار إيزيس التى أسست عليها فكرة القرن الثامن عشر عن أوزريريس التى عبر عنها في " الناى السحرى" لموتسارت قد أضفت على قصة إيزيس وزوجها المتوفى سمات أقرب إلى المظهر الروحي منه إلى الجسدي "[2].

فإيزيس قد نالت اهتماماً كبيراً من الشعراء فاستغلوا فيها – ملمح الإخلاص والتفاني تجاه زوجها عندما قامت قتله وتمزق أشلائه – ثم أعادت إليه الحياة ، فهي رمز الحب بالبحث عنه– بعد والعطاء .

وهذا الملمح في شخصية إيزيس يتطلع إليه الشعراء بوصفه حلماً حيال تمزقهم ومكابداتهم اليومية وإحساسهم بالتمزق والانكسار ، فالشاعر كامل أيوب يتخذها في قصيدته " بردية " رمزاً للوطن الذي يتطلع إليه كي يعيده للحياة فاعلاً ، في جسده الاخضرار :

" إيزيس لمي عظامي ..

وكل أشلاء جسمي الموزع المطروح

وعندها فلتغنى بلا حداد أمامي

ثم اغرسيني فروعاً على الذرى والسفوح " [3].

1- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ،ص٤٤.
2- نقلا عن السابق نفسه.
3- كامل أيوب : إبداع ، اكتوبر ١٩٨٦، ص٤٥.

استطاعت إيزيس أن تستأثر بقلوب الشعراء ، الشعراء المصريين على وجه الخصوص ومنشأ هذه المحبة التي فاضت بها قلوب المصريين نحو إيزيس ، هو أنها كانت – في نظرهم – المثل الأعلى للأم الحنون والزوجة الوفية ، التي تفانت في حب ابنها حورس وفى الإخلاص لزوجها أوزيريس عندما قتله أخوه ست ، أعادته إيزيس إلى الحياة بفضل قواها السحرية ، وتكفلت بتربية ابنها حورس بعيداً عن عمه ، حتى نما وترعرع وانتقم لأبيه من عمه [1] .

أما أوزوريس فهو ذلك الإنسان الذي يتعرض للأذى والبأس والبطش والتآمر ، فقد قتل على يد أخيه ست في " نديت أوجحستى " حتى يقصيه عن الحكم وتئول إليه الأمور .

عبد المنعم عواد يوسف في قصيدته (الخروج من وادي الموت) يستخدم أسطورة أزوريس للتعبير عن موقف المثقف الأعزل في مواجهة السلطة الباطشة ، يتبلور في ملامحه الجدب والسلبية ، والمعاناة ومكابدة الألم ، وقد أحدث الشاعر – في استدعائه للشخصية – نوعاً من المفارقة ، فأزوريس هو رمز الخضرة إذ إنها طابعه المميز :

" أحدثكم ..

على أن تكتموا ما سوف اذكره

حذار أن تحكوه للناس ..

لكيلا تبذروا فيهم بذور الشك

أقول لكم ..

رأيت هناك أيزوريس مصلوبا على صخره ..

1- انظر : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالمة (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١)ط٥ص٢٠٠.

وعيناه مفتحتان ..

بوادي الموت كان هناك مصلوبا على صخره

لم تك فيهما خضرة

ولم تك فيهما خضرة

ولم تك تنبت الأزهار في ساقيه

لم تنفجر النضرة .." [1].

أما الطرف الثالث في الأسطورة الفرعونية والمكمل لها فهو " حورس الابن" ، الذي انتقم لأبيه من عمه ست ، بعد معركة دارت بينهما حول ميراث حكم أوزيريس ، وقد حدث أثناء المعركة بينهما " أن سرق ست عين حورس الذي أصبح بعد ذلك أوزيريس واستردها حورس الصغير ابن أوزوريس أثناء معركة بينه وبين ست حملها إلى أبيه القتيل " [2].

وقد وجد الشعراء في أسطورة حورس كثيراً من المعطيات الإيحائية والدلالية خصوصاً ملمح الثأر بوصفه الحياة في أسمى مفاهيمها رغبة منهم في الخلاص ، وتطلعاً إلى حلمهم في المجد العربي رمز المخلص المنتظر ، المنتقم الذي يبدد قشة الخوف ، ويكتب غدا مشرقاً:

" حورس يا وليد الثأر

قم واحمل خلاص أبيك ، لا تجبن

ويبقى الزند ممتداً بطول الحلم " [3].

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢)ص٥٩.
2- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ، ص٤٧.
3- عبد المنعم عواد يوسف : لكم نيلكم ولى نيل ، ص٧.

وهناك بعض الشخصيات التي شاع استخدامها بين الشعراء " سيزيف" حيث استخدمت رمزاً للجهود الضائعة والأعمال الشاقة المضنية التي يقوم بها الإنسان .

وهناك بعض الشخصيات التي استخدمت استخداماً جزئيا مثل تموز ، وعشتار ، وأدونيس ، وأحمس وغيرهم .

الشخصية الأجنبية :

إذا كان التراث العربي قد امتزج بقضايا الشاعر المعاصر ، وأصبح أداة من أدواته التعبيرية – بالإضافة إليه كأداة ثقافية – هيمن على معظم تجاربه ، فإن التراث الإنساني قد شارك في إثراء عالمه الشعري الجديد ، ومده بالزاد – وفتح أمام عينيه آفاقا رحبة .

فانتشرت – من عناصر التراث الأجنبي – الشخصيات الأجنبية في قصائد الشعراء المعاصرين منها : الشخصيات القديمة التي ارتبطت بملامح دلالية في ضمير الوعي الجمعي ، ومنها الحديثة التي تشابهت قضاياها وهمومها مع قضايا الشاعر المعاصر وهمومه ، فالقضايا والهموم تكاد تكون واحدة ، لأنها قضايا الإنسان والإنسانية وهمومها .

وقد تنوعت الشخصيات الأجنبية التي استدعاها الشعراء المعاصرون ، معظمها شخصيات شعراء ، فالشعراء يحملون بين جوانحهم شهوة إصلاح العالم على حد تعبير " شيلي "، ويحملون بعالم سعيد ، يكابدون آلام آرائهم وأفكارهم ومبادئهم .

أحس الشعراء العرب أن الشخصيات الأجنبية تصلح لحمل أبعاد تجاربهم وهمومه إلى المتلقي العربي سيواجه صعوبة في التلقي والتواصل ؛ لجئوا إلى وسيلتين

عند استدعاء هذه الشخصيات الأجنبية ، فبعضهم لجأ إلى طريقة التعريف بالشخصية في ثنايا النص ، مثلما فعل صلاح عبد الصبور في قصيدته :" فصول":

" أبغى أن أجلس جنب صديقي " اوبرستاد "

(من أسلو بالنرويج ، ويكتب شعراً يتردد فيه حرف الخاء كثيراً)

أو جنب صديقي ايفتو شنكو

(من موسكو ..كان هنا ضيفا منذ سنين)

أو جنب صديقي براهني

(من إيران)

أبغى أن أجلس جنب صحابي الشعراء

من شتى البلدان

وأنا لست بخجلان

أبغى أن أتحدث ، أتلاعب باللفظ الجزلان" [1].

وهذه الطريقة التي لجأ إليها صلاح عبد الصبور قليلة ، وتكاد تكون نادرة ، على أساس أن الشخصية تكتسب وجودها انبنائها النصي ، تنكشف ملامحها مع تنامي السياق .

أما الوسيلة الثانية التي لجأ إليها الشعراء في تعاملهم مع الشخصية الأجنبية فهي التعريف بها في هامش أسفل القصيدة .وهذا النوع هو الشائع في كشف غموض القصائد وإزالة إبهامها ، حتى يتمكن القارئ من التواصل مع العمل الشعري ، لأن معرفة الشخصية يتوقف عليها التواصل ، ولا يستطيع المتلقي أن يلج إلى عالم النص إلا بعدما يتعرف ملامح الشخصية المهنية بالاستدعاء يعرف .

1- صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ص٥٢٦.

obeikandl.com

وهناك بعض الشخصيات التي أصبحت تملك رصيدا معرفيا في ضمير الوعي الجمعي ، وأصبحت ذات ملامح معروفة لدى المتلقي ، لكثرة تداولها ومطالعتها ، وارتباطها بقضايا معاصرة ، لا تحتاج إلى تعريف سواء أكان ذلك في متن القصيدة أم في هامشها .

ومن هذه الشخصيات الأجنبية التي ارتبطت بقضية تراثية / معاصرة شخصية "لوسياس"وهو خطيب يوناني شهير عاش بين عامي ٤٠٩-٣٨٠ق.م .في عصر بركليس الشهير، وكان لوسياس من أكبر المدافعين في خطبه عن الديمقراطية الأثينية، فلما كان الانقلاب الديكتاتوري طارد مجلس الثلاثين لوسياس ففر عام ٤٠٤ق.م من أثينا إلى ميجارا ، وصودرت أملاكه ولكنه لم ليبث أن عاد إلى أثينا في عام ٤٠٣ق.م"[1].

وقد استخدم أحمد عبد المعطى حجازي لوسياس رمزاً للتمسك بالرأي والالتزام بالمبدأ والموت في سبيل القضية ، إنه المفكر الذي يقود بوعيه المجتمع إلى الأمام ، فيقول حجازي في قصيدته جرنيكا ":

" كان لوسياس على سجادة البهو قتيلا :
هذه خطبته الأولى
التي توج فيها بامتشاق السيف أغنياته للحق
لكن بعد أن فات الأوان
سقط السيف من الكف التي كم رفرفت ،
فوق رءوس الناس بالحكمة
في الستين يالوسياس ،

1- د. لويس عوض : دراسات أدبية (القاهرة : دار المستقبل العربي ١٩٨٩)ص١١٣.

لن تحسن تلك المهنة الأخرى ،

ولو صرت اشتراكيا ،

وقاسمت أرقاء أثينا الخبز والخمر ،

وهل كنت أخذت النصر بالسيف

لكي تمنعه بالسيف ؟

لا بأس إذن

أن يقتل الجند خطيباً

تحت سقف البرلمان " [1].

ومن الشخصيات المعاصرة التي استخدمها الشعراء ولها ملامح واضحة لدى المتلقي العربي شخصية الشاعر الأسباني " جارسيا لوركا " ، فقد استخدمه الشاعر وليد منير في قصيدته " الضياع على أرصفة القطارات البعيدة " دالاً على المكان / الحضارة العربية الضائعة في بلاد الأندلس ، التي سارت إلى موتها الحتمي على يد العرب أنفسهم :

" أرى امرأة دونك الآن تهوى إلى القاع ، تسترق السمع ، جثة

النهر ، تمرق بين خلايا الجذور ، تقاسمني الخبر والريح

حين أعود ،..أرى رجلا من غباء الرجال يشد الرحال إلى قبر لوركا)

ضفائرك باقة زهر ، ووجهك أغنية حجرية "[2]

ومن الشخصيات الأجنبية التي وظفها الشعراء في قصائدهم شخصية شارل بودلير رمز النزعة الشريرة ، وشخصية تشيكوف الأديب الروسي.

1- أحمد عبد المعطى حجازى : كائنات مملكة الليل (بيروت : دار الأدب ١٩٧٨)ط١،ص٧١، ٧٢.

2- وليد منير " مجلة الكاتب " ، العدد ١٩٠، يناير ١٩٧٧، ص٨٠.

obeikandl.com